المحاضرة 8/ الخلافة في عهد المعتصم والواثق (218-232هـ/833-847م)

أولا/ خلافة المعتصم 218- 227هـ

تعريفه: هو أبو إسحاق محمد المعتصم بن هارون الرشيد، ولد ببغداد سنة 180هـ وأمه أم ولد تركية تسمى"ماردة". كان لا يحسن الكتابة إلا أنه جندي شجاع، ذات عبقرية في الحروب.

تولى الخلافة بعد وفاة المأمون بطرسوس سنة 218هـ/833م، وقد سعى بعض الأمراء إلى تولية العباس ابن المأمون، لكن هذا الأخير أسرع إلى حسم الموقف وبايع عمه، فأخمد الفتنة في المهد.

وننوه هنا أن الجيش ظهرت منه بادرة خطيرة لأول مرة وهي التدخل في أمر البيعة، حيث كان قسم منه يميل إلى مبايعة العباس.

1- الأوضاع الداخلية

قضية الأتراك: فقد المعتصم الثقة بالفرس، ولم يتطلع إلى العرب لكثرة تقلباتهم تجاه الخلافة ولأنهم فقدوا الكثير من قوتهم السياسة والعسكرية.

حملت هذه المعطيات المعتصم الاعتماد على عنصر ثالث تمثل في العنصر التركي المعروف بالشجاعة والقوة العسكرية.

الترك والخلافة: في الواقع أن الأتراك نفذوا إلى المجتمع الإسلامي منذ العهد الأموي، وزاد تأثيرهم العسكري والسياسي في الخلافة العباسية في عهد المأمون الذي استخدمهم في الجيش.

وقد تنبه المعتصم لهذه العصبية الجديدة منذ أن كان أميرا، فكان يوجه سنويا بمن يشتري له منهم من جهات سمرقند، حتى اجتمع لديه منهم في عهد المأمون زهاء 3 ألاف غلام.

ولما أفضت إليه الخلافة ألح في طلبهم، فكان عبد الله بن طاهر يرسل إليه سنويا ألفي غلام كجزء من خراج خراسان، وكان يشجعهم على الانخراط في جيشه، وقربهم منه وقلدهم قيادة الجيوش، وجعل لهم مكانة سياسية، وأسكنهم سامراء.

حركة بابك الخرمي: أنفق المعتصم معظم جهده في القضاء على هذه الحركة التي استفحل شرها، فقذفها بالكتيبة تلو الأخرى.

ففي 220هـ/835م، عين قائده الشهير الأفشين حيدر بن كاوس أميرا على الجبال وأمره بقتال بابك، وكان يمتاز بالحذر الشديد والخبرة الميدانية بالمسالك الجبلية، فاتبع خطة عسكرية مرنة تستند على التقدم البطيء.

وقد أمده المعتصم بالإمدادات ورتب البريد ومهد الطرق لتسريع الاتصالات بين الطرفين، فكان يشرف على سير المعارك بنفسه من سامراء.

وتقدم الأفشين بروية إلى مدينة "البذ" مقر بابك، وأطبق عليها حصاره وتمكن من دخولها في 10 رمضان 222هـ/ 837م، وفر بابك إلى أرمينيا فقبض عليه البطريق سهل بن سنباط وسلمه للأفشين، وجيء به إلى المعتصم بسامراء في صفر 223هـ/838م، حيث جز رأسه وعلقه في بغداد وصلبت جثته في سامراء.

حركة المازيار: اعتنق المازيار الإسلام وولاه المأمون طبرستان ورويان ودنباوند ولقبه الأصبهذ.

فأراد الانفصال عن جسم الدولة، وكان متفق مع الأفشين الذي حرضه على الخروج والعصيان.

كما كاتب بابك وعرض عليه المساعدة ويبدو أنه تبنى النزعة الخرمية وصادر معظم الأراضي من الملاكين ليضعف الدولة اقتصاديا.

وقد وقف الخليفة المعتصم على أهداف هذه الثورة، وذلك حين ضبط عبد الله بن طاهر رسالة من الأفشين إلى المازيار، ومن سوء حضه أنه أعلن حركته في وقت غير مناسب 224هـ/839م، حيث كانت الدولة قد تخلصت من معظم الحركات المعادية، وبالتالي لم يكلف القضاء عليها الكثير من الجهد، وكانت نهاية المازيار شبيهة بنهاية بابك حيث قتله الخليفة وصلبه إلى جانب بابك.

خيانة الأفشين:

استغل القائد التركي الأفشين منصبه القيادي ونفوذه في البلاط من أجل تحقيق طموحاته الانفصالية بتكوين دولة مستقلة في أشروسنة.

فحاول استقطاب السكان الساخطين على الوالي العباسي هناك، وحاول إزاحة والي خراسان عبد الله بن طاهر، كما حرض المازيار ومنكجور الفرغاني بالثورة على حكم المعتصم.

ولكنه فشل في تحقيق أهدافه بعد أن انكشفت مؤامرته على الخليفة، فحاول التخلص من هذا الأخير لكنه فشل في ذلك وتم القبض عليه، وحاكمه المعتصم حيث ألصق به عدت تهم من بينها الزندقة والتأمر على الخلافة، وأودع السجن حيث توفي فيه سنة 226هـ/841م.

سياسته تجاه بيزنطا: توقف القتال بين المسلمين والبيزنطيين في السنوات الأولى لخلافة المعتصم.

ذلك لانهماك هذا الأخير في إخماد الفتن الداخلية (الزط، بابك الخرمي والأفشين).

لكن الإمبراطور البيزنطي تيوفيل أغار على أعالي الفرات لخفف على الخرمية ويؤمن الاتصال بهم في أرمينايا وأذربيجان.

وفي طريقه استولي على زبطرة مسقط رأس والدة الخليفة، وسبى المسلمات ومثل بالمسلمين، كما أحرق سميساط وملطية.

أعد الخليفة جيشا قويا تولاه بنفسه واتجه به نحو عمورية مسقط رأس تيوفيل.

وعين أشناس التركي على قيادة المقدمة وإيتاخ على الميمنة وجعفر بن دينار على الميسرة وعجيف بن عنبسة على القلب.

وكتب على ألوية الجيش وتروسها "عمورية"، ورسم الخليفة خطة محكمة للاستيلاء على المدينة.

والتقي الأفشين بالإمبراطور تيوفيل عند سيواس بالقرب من أنقرة فكانت الغلبة للأفشين وسقطت أنقرة في يده.

في هذه الأثناء بعث تيوفيل إلى الخليفة يطلب منه الصلح، ولكنه رفض وتابع زحفه تجاه عمورية، وتم حصارها ثم استسلمت في 17 رمضان 223هـ/ 838م، بعد أسبوعين، فأسر المسلمون الكثير من أهلها وغنموا الغنائم، وهدم المعتصم أسوارها.

كشفت الحملة للمعتصم عن مدى ضعف الإمبراطورية هذا ما شجعه على مواصلة الزحف تجاه القسطنطينية.

إلا أنه اضطر للعودة إلى بغداد بعدما كشف مؤامرة الجند مع العباس.

ومهما يكن فحملة عمورية تعتبر مميزة عن الحملات السابقة، لأن مدينة عمورية تقع في وسط أسيا الصغرى.

قضى المعتصم على الثورات التي كانت تهدد الخلافة وأخطرها ثورة بابك ووضع حدا لفوضى الزط وصدم الروم صدمة قوية.

وبنى عاصمة جديد ولكن جل سكانها كانوا من الجند فأصبح شبه سجين بينهم فكان لذلك نتائج فظيعة على من خلفه.

عجز عن إخضاع الطاهريين وتركهم شبه مستقلين في خراسان.

وأراد تقوية أركان الدولة المتصدع بتقريب الترك فأهمل الفرس والعرب فزاد في إضعاف الخلافة.

والمتفحص لأعماله يجد فيه قائدا عبقريا إلا أنه سياسي فاشل

توفي المعتصم في 8 ربيع الأول 227هـ/ 841م، بعد مرض، وكان قد عهد لابنه هارون الواثق.

ثانيا/ خلافة الواثق (227-232هـ/841-847م)

تعريفه: هو هارون ابن المعتصم، أمه أم ولد تدعى قراطيس. ولد سنة 186بطريق مكة، بويع له بالخلافة في اليوم الذي توفي فيه والده 227.

اشتهر برجاحة العقل وحسن التصرف السياسي، يحب العلم والأدب حتى أنه أفرد في قصره مجلسا للمناقشة الفكرية مقتديا بالمأمون، فلقب بـ" المأمون الصغير".

الأوضاع الداخلية على عهده:

يعتبر عصره فترة انتقال بين عصرين مختلفين.

تصدى إلى حركات عرب بني سليم وغيرهم من البدو الذين عاثوا فسادا في جهات المدينة، وفرض الأمن على الطرق التجارية في الجزيرة.

- اتبع سياسة التشدد تجاه عماله وكتابه مقتفيا في ذلك أثر جده الرشيد.

- تمتع ولاة الأقاليم في عهده بنفوذ كبير، فقد حكم عبد الله بن طاهر خرسان وطبرستان وكرمان وكاد الاستقلال بها، كما حكم أشناس الجزيرة والشام ومصر والمغرب، وحكم إيتاخ التركي أجزاء من خراسان والسند وكور دجلة.

3/ سياسته تجاه بيزنطة:

كان ميخائيل بن تيوفيل هو إمبراطور بيزنطة في عهد الواثق، وكانت أمه تيودورا هي من تنوب عنه.

بعث الروم إلى الواثق من أجل الصلح ومبادلة الأسرى(الفداء) فقبل الخليفة.

وكان الفداء في سنة 230هـ/844م.

كان عدد المسلمين 4362أسير، أما النصارى فكانوا أقل.

وفاته: حكم الواثق أقل من6 سنوات وتوفي ل 6 بقين من ذي الحجة232هـ/847م إثر مرض، ولم يولي العهد أحد، وبذلك انته العصر الأول للخلافة.